عبدالرفيع جواهري

مراكش

قطرات المطر على جسد ينزف شمساً
ها رائحةُ النَّخْلِ ورائِحَةُ الحنّاء
وها وجهٌ غَزَالٍ خَائفْ
مختبئٌ في عينيكْ
وجْهُك أم دمعةُ طِفْلَهْ؟
ثغرك أم جُرحِي؟
ولماذا تتصاعد هذي الأغنيّةُ مِثْلَ الحُزْنِ
إذا رفرفتِ النظراتْ
وقالت عيناكِ وقالتْ عيْنايْ
ما فوق الكلمات
وما فوق حُدُودِ الشعرْ
هَلْ هَذَا غَزَلٌ؟
هَلْ أتَغَزَّلُ فِيك؟
ولماذا حين أفكر فيكِ أرى امرأةً مغتصَبهْ
تَبْكِي فيَ صَمْتْ؟
قطرات المَطرِ على جَسَدٍ يَنْزِفُ شمساً
هَذَا المَطَرُ كَما الجمر
يحيل الجَسَدَ الصَّحْرَاويَّ جحيماً
فأرى فوق الجدران الحمراء عيوناً
موَّالاً ينسابْ:
زدني ناراً كي ازداد غرَاما

أيتها المَحْبوبَةُ كيف تُدَاهِمُ عيناكِ الحزنَ
وكيف الدمعةُ تنحَلُّ نشيداً؟
ها كأسي فتعالي نتقاسمها
ها هو ذا صفصافٌ من حَجَرٍ
ها هي ذي (الكتبية) تشرب أحزان (الساحة)
فتعالى نشرب
تحت (الكتبية) أحزان الفَرَحِ وأفْرَاحَ الأحزانْ
أيُّ هديرٍ في أحشائك يَصْطَخِبُ:
دقاتُ طبُولٍ
دقات أَكُفّ
ها هم في أحشائك يختلطونْ
ولداناً ونساء ورجالاً
سقّائين.. حُوَاةً ورواةً
ها هم يقتاتون الجوعْ
ها هو ذا الجوع يُغَنِّي
أقدام عارية تقفز ترقص
(حمدانُ) يلاعب ثعباناً
(حمدانُ) يلاعب قرداً
قتل (الزيرُ) مئات الفرسان...
قالت عبلة يا «عنتر»...
قال الراوي... قال الرا...

في الساحة أصواتٌ، أصواتٌ، أصواتْ
لكنك في الأصوات وفي الأجسادْ
في (الجذْبة) في نابِ الأفعى
في القرد وفي الساحرْ
صرخاتٌ، صرخاتٌ، صرخاتْ
جمراتٌ، جمراتٌ، جمراتْ
نَخْلٌ يمشي في نَسْغِ الصحراءْ
في الساحة ترتفع يَدٌ تَمْسِكُ طَعْنَهْ
أيتها المَحْبُوبَةُ
حين اصْطَخَبَ الخنجرُ في صَدْرِكِ
فاضَ دَمٌ أحمرُ غَطَّى الأحجارَ
ولَوَّنَ كل الجدران
وها أنت كما الجمر
حمراءٌ، حمراءٌ، حمراءْ
نازفةً تمشين وتتبعكِ الطَّعَنَاتْ
بين الموتى والأحياء
نازفةً باسمةً تمشين
هَا رائحةُ النخلِ ورائحة الحنّاء
وهَا وَجْهُ غزالٍ عائدْ
يَضْحَكُ في عَيْنَيْك
وهَا شَمْسٌ تُورِقُ في خطوكْ.